

خطاب الحداثة في الأدب السرياني المعاصر



■ عصام شابا فلفل

رفقاً بالمرضى يا أطباء تلسقف

تعلمنا من خلال تجاربنا الحياتية ان مهنة الطب هي مهنة مقدسة ذات طابع انساني بحت قبل ان تكون مهنة لكسب المال. ورغم ذلك فمن حق الطبيب ان يعيش من مهنته عيشاً كريماً لأنه ضحى من أجل الحصول على هذه المهنة بالكثير الكثير من الجهد والسهر والدراسة، ولكن قد يجوز أن يشذ بعض من الأطباء (نقول بعض) وهم القلة القليلة جداً عن قاعدة الانسانية، ونحن هنا كلامنا موجه بالذات الى أحببتنا وأصدقائنا الأطباء من أبناء تلسقف، فهم على العموم معروفين بنبيلهم وكرمهم وانسانيتهم دون منازع، وهم في الوقت ذاته مثل رافع في انسانيتهم وما يقدمونه من خدمات جليلة لكل المواطنين دون استثناء سواء كان المريض ابن تلسقف أم غيرها، لأنهم انسانيون بمعنى الكلمة، وهذا ما يشهد عليه الجميع حين مراجعته لعيادات هؤلاء الأحياء.

ونحن من موقعنا نفتخر أن يكون في بلدتنا الحبيبة أمثال هؤلاء الأطباء الكفوئين والانسانيين ونقدم لهم خالص شكرنا وتقديرنا على صنيعهم مع المواطنين وتعاملهم اللطيف مع المرضى، فهم أطباء وأبناء بررة لمدينتهم وهم أهل لذلك دائماً، ولكن لدينا عتاب واحد على بعض منهم، والعتاب هنا ليس إلا جزء من محبتنا الكبيرة لهم، وعتاب الأحياء ليس نقداً بل احتراماً وسيل محبة لإنارة الطريق التي قد تكون أحياناً مشوبة ببعض الضباب أمام الانسان، وعتابنا هذا ما هو إلا تقييماً لجهودهم الكبيرة التي يبذلونها للمرضى وكبار السن.

فيا ليت حين يقرأون مقالنا هذا، أن يضعوا نصب أعينهم باننا نقدرهم ونحترمهم ولهذا نعاتبهم ونقول لهم: ان المرض لا يعرف الوقت الذي يصيب به الانسان، فهو قد يصيب المرء في ساعات متأخرة من الليل أو في الصباح الباكر أو العصر أو الظهر أو... أو... أو... اذن ليس للمرض وقت محدد، ولهذا ليس للطبيب وقت محدد لعلاج مرضاه، وخاصة الحالات الطارئة منها، لماذا اذن يا احبتي لا تفتحون ابواب منازلكم لمريض حدث له طارئ لمعاينته وعلاجه، اليس تلك الحالة جزء من رسالتكم الانسانية؟

اذ ان هناك حالات تتطلب العلاج السريع وإلا فان المريض سيفقد حياته خلال دقائق معدودات، وقد حدثت عدة حالات مما قلنا اعلاه، وقد كانت نتيجة إحداها الوفاة في الليلة نفسها، حيث اصيب أحدهم بأزمة ألم في القلب في منتصف أحد الليالي، وحين أخذوه أهله الى الأطباء في تلسقف وللأسف الشديد وأخذوا يقرعون عليهم الأبواب طبيياً تلو الآخر، ولكن لا أحد يفتح لهم الباب، واستمر ذلك أكثر من ربع ساعة، هذا إضافة الى الاتصالات الهاتفية بالأطباء عبر الموبايل، ولكن لا أحد يرد على نداءاتهم واستغاثاتهم.. ولكن.. وبعد دقائق فقد المريض حياته.. من المسؤول عن ذلك يا أيها السادة؟! أين القسم الذي اقسمتم به حين تخرجتم من كلياتكم؟ نحن لا نجبركم على شيء، فأنتم أحرار بما تبدوونه من رأي في العمل.

ولكن لو تضعون قليلاً من الانسانية أمامكم فقط، وسأروي لكم حالة أخرى حدثت في ٦ تشرين الثاني ٢٠١٢، حيث تأخر ولدي في تلك الليلة بالمجيء الى البيت، وحين وصل عاتبته على تأخره فقال لي: بأنه شاهد عائلة عربية قادمة من إحدى القرى القريبة من تلسقف ومعهم طفلة تبلغ من العمر (٣ سنوات) وهي بحاجة ماسة الى عملية التبخير لكونها مصابة بضيق التنفس، وسألوه عن الطبيب (فلان) فأخذهم الى دار الطبيب وكانت الساعة العاشرة والنصف ليلاً، فأخذ يقرع الباب بما يقارب الربع ساعة، ولكن لا أحد يفتح الباب، تركوا الطبيب أعلاه وذهبوا الى الطبيب (فلان ١) وأخذوا يقرعون الباب، ولكن صاحبنا كان مثل زميله العزيز، والفتاة المسكينة تزداد حالتها سوءاً بعد سوء، فما كان منهم ولدي معهم إلا وأخذوا على وجه السرعة الى مستشفى تكليف لعلاجها، لماذا هذا التصرف؟ ألم يكن بالإمكان معالجة هذه الانسانة؟ وحالات كثيرة تحدث يومياً ولكن أحببتنا الأطباء يغمضون عيونهم ويعصبون سمعهم لتلك الحالات الطارئة.

ونحن هنا نخاطب وزارة الصحة ومديرية صحة نينوى ومجلس قضاء تكليف ومسؤولي المؤسسات الحزبية في المنطقة أن يجدوا حلاً لهذا الموضوع الخطير، ونقول لهم: لماذا لا يوجد طبيب خفر في مستوصف تلسقف لمعاينة هذه الحالات الطارئة التي تحصل؟ اليس ذلك أفضل من مراجعة دور الأطباء والتوسل بهم لغرض المعاينة؟ فهناك حالات تتطلب السرعة العاجلة وإلا يكون المريض بعد دقائق في خبر كان.. تحياتي.

الثاني بمرحلة ما بعد السقوط عام ٢٠٠٣، حيث نشطت الكتابة في مجال الابداع الشعري والقصصي بصورة خاصة وفي مجال الفنون الأخرى أيضاً، وخاصة بعد تأسيس عدة اتحادات ومنظمات مجتمع مدني في بخديدا والقوش وبرطلة وكرمليس، بحيث نشطت الساحة الثقافية في مختلف المجالات، إضافة الى استمرار النشاطات الأخرى كالمؤتمرات والندوات والمحاضرات والحلقات الثقافية والتواصل الذي يحدث لأول مرة في تاريخ شعبنا الا وهو عقد لقاءات ثقافية بين حواضرنا المسيحية، والتفاهم المعاصر الكلداني السرياني الأشوري الذي شكل نقطة تحول مهمة أثرت على الطروحات الثقافية والأدبية والفكرية، ناهيك عن الجانب السياسي وتجمع تنظيماتنا في هذا المجال.

فالشاعر السرياني لم يعد يكتب من فراغ، بل وراءه الماضي وأمامه المستقبل، وهذه هي حادثة الحضور الفاعل في المشهد الثقافي الحداثي، وخاصة في المجال الإعلامي، وهناك الحركة النقدية وهي ضعيفة بصورة عامة.

ونقول أخيراً، إذا كانت الحداثة سعياً وراء التجديد وريادة واعية لمسؤولياتها وأهدافها وأغراضها، يعرف أصحابها ما لديهم وما الذي يريدونه على أرضية المعرفة، فان هذا هو الجديد وفيه خيراً لأننا نفهم ما يجري في عصرنا.

اناقتي، لي زائري الأخير القادم من برج الأسد يزفونه الى مصح ويثرون فوق مائدته، لماذا كل هذا السرور أيها الغبار وأنت أيها المقص، سعيدة بك طائفة شاروكين تتوج له أحلامه ليطل بها على أخضرار لسانه ويشطب تجاعيد أجداده عن تقويمه السنوي.

تعال ناد على الأنوار كي تسيل من أفواه ناياتك حنطة الحياة، أخطف لحظة النعاس من جفني وزر قداستي بتراكب الأخضر أنا محض خليقة برونزية تخطيط كما تشاء عظام الضباب، أنسيت طالعك في برج الأسد أيها الضباب؟ منك وبك نبتكر أبجديات مرايا وأحلام، وكتاب البخت. لك هذا المديح من أجل عيني (أشومارينا) تذكرتها وسال من شفتي العسل.

* شاروكين: باللغة الأشورية يعني الملك العادل.

القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وبرزت شخصيات سريانية فرضت نفسها في المجال المعرفي منهم (بر صليبي، يعقوب برشكاكو، وابن العربي وهو المؤلف والناقد والمترجم والموسوعي والمبسط والموهوب الذي قام باحياء العلوم السريانية في القرن الثالث عشر) وهنا تتجلى الحداثة السريانية في كتابات ابن العربي. وما أن حاول كوركيس وردة وخاميس قرداحي أن يحركا عمود الشعر السرياني في ذلك الزمن حتى غابت مرة أخرى مفاهيم الحداثة، وغطت نفسها في سراب مظلم وفي فترة مظلمة دامت قرناً ريثما أشرقت شمس السريان مرة أخرى في بداية القرن التاسع عشر وأخذت في طريقها كل أشكال الابداع والتي تأثرت بمفاهيم الحداثة الغربية، خاصة في مجال القصة والرواية.

ولا نغالي إذا قلنا ان فرح انطوان كان رائداً حداثياً في روايته "غابة الحق ١٨٦٥" والذي أكد فيها على المفاهيم الحداثوية في حياة الانسان وهي ثوابت معرفية (الحق، القانون والعدالة).. وسليم البستاني في رواية "الهيام في جنان الشام ١٨٧٠".

وهناك تحولات كبيرة حدثت في أدبنا السرياني المعاصر، فالتحول الأول هو ما انطلق به ادبنا بعد الانتفاضة المباركة لعام ١٩٩١، حيث برز أدباء وشعراء وكتاب في عنكاوا وشقلاوة ودهوك وكويسنجق والسليمانية من الكتاب السريان. بينما تمثل التحول

معاصرة في مجالات مختلفة. يقول البعض ان الحداثة هي أن يكون الفرد والمجتمع مساهماً فاعلاً في الحضارة المعاصرة بكل تجلياتها، لذا نجد مساهمات الكتاب والأدباء السريان في القرون الماضية كانت فاعلة على الساحة الثقافية منذ انطلاقتها الأولى في عهد نرساي وبرديصان ومار أفرام ويعقوب السروجي وكثيرون ممن فتحو آفاقاً جديدة في الشعر والكتابة بمختلف أجناسها، وهؤلاء آباء الحداثة، وبذلك نجد ان التراث الثقافي السرياني يحتوي على مفاهيم حداثوية لما حققه هؤلاء من نظام معرفي ونصوص كانت بحق فتحة جمالياً.

ولكن كيف تطورت هذه الحداثة بمفاهيم جديدة؟ نقول ان الحداثة الأوروبية لم تكن وليدة عصر معين وإنما استغرقت عدة قرون، وكذا الحال مع الحداثة السريانية في الأدب وأجناسه. فقد تطورت مفاهيم الحداثة في الأدب السرياني بالعصر العباسي، بحيث طغت على كل مقولات ذلك العصر وطروحاته، فأخذت الترجمة كمنشآت معرفي تغزو التحولات الثقافية، واكتسبت بعداً جديداً في المعارف اليونانية والفارسية والعربية حتى أصبح ذلك العصر يعرف بعصر الترجمة، وبرزت أسماء عظيمة في هذا المجال أمثال (جبرائيل بختيشوع، حنين بن إسحق، أبو بشر مني، يحيى ابن عدي وآخرون). وعصفت رياح العظمة والانحطاط على حد سواء خلال



■ نوري بطرس

نمت الحداثة وترسخت في المجتمعات المتقدمة التي استطاعت تأسيس دولة القانون واطلاق المجتمع المدني وديمقراطية الثقافة والتعليم والمجتمع وروح المواطنة، وأخذت مفاهيم جديدة بعد اعلان ثورة المعلومات في عالمنا المعاصر شملت جميع الفنون والمعارف والعلوم، فأحدثت تغييرات عميقة في تلك المجتمعات.

ليست الحداثة مفهوماً سوسيوولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً، إنما نمط في التحضر والتمدن، انها نمط سلوكي يمارس في الحياة اليومية ينادي بالتجديد والابتكار. واستطاعت المجتمعات المعاصرة نبذ قيم الماضي والدخول الى عالم جديد في ظل المتغيرات المتسارعة التي أصابت حياتنا المعاصرة في مختلف المجالات. ويسبب التقدم الذي حصل في وسائل الإعلام، أثرت على التطور الثقافي وانتهى عصر الانغلاق والتقوقع الى عصر حمل معه مفاهيم

نص املوكية

نزهة شاروكين*

الأشقاء، يلاعي مي تغرغر شهوة الكلام، النهار يصحب أشقاءه الى وليمة وهرارة، ظلام قديم ويحط أثقاله فوق تاجك العائلي وتكسر عتمة الستائر، تهرب العتمة من خزانة الملابس الى حبل الغسيل أو حبل الغروب، لك في كدمات اللسان ثرثرة أخرى، وأقطع عليك نزهة الحروف، انه الحزن، وأعني ثخيناً كان يتدافع مع رغوة العذاب ويسيل لعاب العميان وهم يلعبون بخرز الخليقة ويلوحون بالضوء خارج العماء، انني أخرج من مرآة الرب كي أسيل أضواء وأمطاراً، كرمتي ترف على بنفسجات الصغار، لي في كل رخام مقدس يتناسل مع سعادة الضياء، لا أشغل على مخاط موتى، انني وموتاي صنوان نصفر أكاليل الحزن والحب معا ونرسل روانح الغضب.

- برجى يترقبني - معلق في أجباني هذا القديس الزائر

التراتيل ما يجلو للموسيقى ولك، تراتيل الأحد الزلال، لنسالك، من أيقظ النبيذ في الكأس، ومن ذكر هؤلاء بعزلة الزهر؟ في الذكريات نشيد الرحيل، الكمنجات كلها في يدي، وتلوح بالخز، كأننا أمام مرايا الصاغة أقطع نزهتهم ألوح بالإصفرار يتفتت فوق يافطة.. وفوق بلطة ما.. وما زال الثلج دائماً على حزن الآلهة، حفلة للموتى يسهرون على أنغام موسيقى مرارة تجمع حبات الخرز الملائكية بعدد أيام الأسبوع، ونحن نشد على مفاصل النبيذ الرحيل، كان الرب نجمة تمطر ضوءها على العالمين، جرتي تلك تثرثر مياهها، أنوار تتوزع عبر سيمياء تقاويم مؤجلة.. وتلحق بأجنحة غامضة لتراب غامض، يسكر من ترياقى ونقرأ سورة الذبيح والنعاس يضرب بعصاه حصاة الثوم، ويغني لرخام فوق مائدة



■ شاكور مجيد سيفنو

أضرب يافوخة العصفور بمحار الضوء الأول كي تثبت لك في سلال البرتقال رصيديا من تراب الأحياء والأشقاء معا، سنزح لك أزرعنا في هذا التراب كي تثبت أشجاراً للسعادة بعيداً عن البومات الفاقة، لك نخنار غيمة تحرسك من رياح الصيف، لك في كل قداسة شمعدان وصباح سعيد يرسلون له من